اثر اللهجات
في شرح ابن عقيل على الالفية

الدكتور : رشيد عبدالرحمن العبيدى
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

ربما يكون غريبا ان يبحث باحث في شروح كتب النحو ، ومتونها ، مفتشا عن اللهجات القبلية التي تحتل مكانا واضحا بين أمثلة المؤلفين وشواهدهم ونصوصهم التي يعتمدونها في الاستنباط والاستنتاج ، ووضع المقاييس والقواعد والاحكام .

وليس الغريب في أن هذه اللغات ـ جميعا ـ هي اللغة العربية ذات المقاييس المتفقة والاحكام المتسقة ، ولكن الغريب في ان النحاة يعنون بهذه اللغات المتعددة ، كما لو عني المعجميون ، ومؤلفو اللغة ، وفقهها ، بها . وبون كبير بين من نطلق عليهم نحاة ، وبين من نسميهم لغويين ، وبين من يعرف بالصرفي [1] .

فعالم اللغة يعني بالدلالات والاصوات ورواية اللغة وتمييز الفصيح والغريب من غيرهما . والنحوى يعني بالتراكيب والعبارات ووضع الاقيسة

---

(١) انظر في تحديد : الصرف والنحو واللغة : كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى : ٢٤ (صرف) وفي الرضي على الشافية : ٦/١ .

والاحكام والقواعد لها • والصرفي يخدم اللغة من حيث ابنية الكلم واشتقاقاتها وتصريفها ، ومجردها ومزيدها ، وما يتصل بهذه الموضوعات جميعا [٢] ، ومن هنا فلا تلاقي بين الجميع في اسلوب العمل والبحث ، ولكن التلاقي حاصل في انهم ـ جميعا ـ يبحثون في اللغة •

ونظرة متفحصة في اى كتاب نحوى ، يمكن ان تقف بنا على ظاهرة واضحة في كتب النحو ، هي : العناية بلغات القبائل العربية في تقوية الاحكام ، واستخلاص القواعد ، وبيان اختلاف التوجيهات عند النحاة ، غير ان هذه الظاهرة تتفاوت بنسب مختلفة بين نحوي ، واخر ، فأنك لتكاد ترى كثيرا من النحويين يحشون كتبهم بذكر الخلافات الناجمة من اختلاف اللهجات واللغات ، فتتعدد بذلك اوجه التخريج والتأويل ، ومذاهب النحويين ، كما ترى في تأويل قوله تعالى : « ان هذان لساحران » [٣] •

ولعل منطلق هذا النقل للغات القبائل العربية ما نقله سيبويه في كتابه عن أئمة اللغة المشافهين للاعراب ، الناقلين عنهم ، فقد قيَّد الخليل ويونس وابو عمر وبن العلاء وعبدالله بن ابي اسحق وعيسى بن عمر ويحيى بن يعمر ما سمعوه من العرب في كتبهم ، او رووا الى تلاميذهم ، ومن تخلف عنهم من اللغويين والنحاة ما سمعوه مشافهة ومساءلة ، فقيده المتأخرون فيما الفوا في اللغة والنحو والصرف ، وكان موطن ذلك كله في بداية الامر بطون كتب اللغة الخاصة في النوادر والاضداد والمترادف والمشترك والغريب ، والأسماء والصفات ، والنبات والحيوان والشجر

---

(٢) انظر همع الهوامع : ٢٦٢/٢ ، وابن جماعة على الجاربردى : ٦/١ والمنصف ٤/١ والرضي : ٢/١ـ٣ والمازني ٩٨ .

(٣) المغني : ٣٨/١ .

والسلاح [٤] وغير ذلك ، ثم تعدى ذلك الى بطون المعاجم ، وكتب اللغة العامـــة .

فلما وجد النحويون بين ايديهم هذه الثروة الطائلة من نصوص اللغة منسوبة الى البطون والافخاذ من قبائل العرب ، كان ذلك متنفسا لهم ، ليؤولوا ، ويوجهوا مذاهبهم وتفسيراتهم في مقاييس اللغة ونحوها ، وكان سيبويه قد استكثر في (كتابه) هذا الضرب من نصوص اللغة ، يقول ـ مثلا : « وأما ما يتغير فلدى والى وعلى اذا صرن اسماء لرجال او نساء قلت : هذا لداك وعلاك ... وانما قالوا : لديك وعليك واليك في غير التسمية ليفرقوا بينها وبين الاسماء المتمكنة ... وحدثنا الخليل : ان ناسا من العرب يقولون : علاك ولداك والاك .. » [٥] وكقوله : « .. وذاك تولك : بشراى وهداى واعشاى ، وناس من العرب يقولون : بشرىّ وهدىّ .. » [٦] يريد بذلك لغة هـــذيل .

---

(٤) انظر مثلا من كتب اللغة الخاصة كتاب الابدال لابن السكيت للصفحات : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ومعظم صفحات الكتاب ومـــن ذلك قوله : « وقال الفراء : هو عنوان الكتاب وعلوان الكتاب وعنيانه وعنوانه ، اذا كان باللام فبالضم لاغير ، وحكي عن بعض بني كلب : عنيان الكتاب ، ويقال : عنونت الكتاب ... وقال الكسائي : لـــم اسمع علونت ... الخ ص ٨ـ٩ من الابدال والقلب .
ونحوه : « الفراء : يقال : اطمأننت اليه ولغة بني اسد اطبأننت . » ص ١٣ منه . وانظر خلق الانسان للاصمعي : ١٦٣ يروى البيت : (أأن ترسمت ..) لذى الرمة بروايتين ، وينقل عن رجل من بني صنبة . و : ص ١٦٤ يسمع من بعض العرب .

(٥) كتاب سيبويه (ط مولاق) : ٢/١٠٤ .

(٦) نفسه : ٢/١٠٥ ، وانظـــر : الصفحات : ٢/١١٠ في التحقير ـ التصغير . وانظر كذلك : ص ٢/٥١ منه في اضافة (خمسة عشر) الى ما فيه ال وغيره ، فقد سرد لغات العرب فيه . ومثل هذا كثير في تضاعيف الكتاب .

واستكثر النحاة من بعد سيبويه نقل اللغات القبلية ، ولعل ابن جني في خصائصه وسر الصناعة وشروحه للتصريف [٧] واشعار هذيل ومشكل المتنبي وديوانه وغيرها ، واضح الاعتماد على ذكر اللغات واللهجات ، وكذلك فعل جملة النحويين والصرفيين في عصره او من بعده ، كالزمخشري وابن يعيش وابن مالك وابن عقيل والرضي وابن هشام ، حتى اصبح ما يذكره المتأخر من النحويين اجترارا لما ذكره المتقدم منهم ، والذي يقرأ شروح الجرجاوي والاشموني ونقره كار ، والجاربردي وحسين الرومي ، وابن كمال باشا وخالد بن عبدالله الازهري والسيوطي والخضري ، وقطة العدوي ، حتى محمد محي الدين عبدالحميد ممن نعيش في عصره ، يجد ان هؤلاء جميعا حصلوا ما قاله المتقدمون من لغات ولهجات ، واستوعبوا في كتبهم .

فأذا رأيت المتقدمين ينسبون تخريجا من تخريجات المثنى ـ مثلا ـ الى ان المشهور رفعه بالواو ، ونصبه وجره بالياء ، عند معظم العرب ، وان بعض العرب يجعل المثنى والملحق به بالالف مطلقا ، رفعا ونصبا وجرا [٨] كما ترى ذلك في ابن عقيل وغيره .

رأيت محمد محي الدين قد حصل ما قال غير ابن عقيل ، فجمع فأوعى ، فذكر في حاشيته جميع القبائل والافخاذ والبطون التي تتكلم باللهجة الخارجة عن المشهور في كلام العرب ، وهم : « كنانة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو العنبر ، وبنو هجيم ، وبطون من ربيعة ، وبكر

---

(٧) كتاب للمازني شرحه باسم المنصف ، وهو مطبوع بمصر .

(٨) ابن عقيل : ١/٥٣ ، وشرح الاشموني على الالفية : ١/٣٢ـ٣٣ وقال : « .. به لغة اخرى وهي لزوم الالف رفعا ونصبا وجرا وهي لغة بني الحارث بن كعب وقبائل اخرى » ص ٣٤ .

بن وائل ، وزبيد ، وخثعم وهمدان وعذرة » ، وجمع شواهدها ـ ايضا ـ فأورد لها الحديث : « لا وتران في ليلة » وقوله تعالى « ان هذان لساحران » وقول الشاعر :ـ

تزود منا بين أذناه طعنة • • • • • • الخ (٩) •

وابن عقيل وهو بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصرى المولود سنة : ٦٩٨ هـ ، والمتوفي سنة ٧٦٩ هـ ، هو واحد من الائمة الذين عنوا باللغات واللهجات في (شرحه) على الرغم من وجازة مؤلفه الذى وضعه في شرح الالفية لابن مالك ابي عبدالله محمد بن مالك الجياني الاندلسي المولود سنة : ٦٠٠ والمتوفي سنة ٦٧٢ هـ • فلقد نال في علم النحو حظا وافرا ، وقدمه كثير من العلماء على غيره في النحو • حتى قال فيه ابو حيان : « ما تحت أديم الارض انحى من ابن عقيل » •

هذا الامام النحوى الذى لم يشتهر له الا كتابه شرح الالفية الذى لم يغفل فيه خلال تفسيراته وتأويلاته ، وبيان مذاهب النحاة ، لغات القبائل ولهجاتها التي كانت سببا واضحا في اختلاف اراء النحاة ومناحيهم في التأويل والتفسير والاحتجاج • ويتضح من خلال شرحه انه ـ تارة ـ يصرح بأسماء القبائل ، وينسب اليها لغاتها ، وتارة اخرى يقف عند قوله : « وبعض العرب » و «حكوا» و «سمع» و " هو لغة " و « هذا شاذ » و « هو مسموع » ، و « رووا » •• الى غير ذلك من اصطلاحات الرواية والحكاية والسماع ، من ذلك قوله : « وسما : لغة في الاسم ، وفيه ست

---

(٩) منحة الجليل ، حاشية ابن عقيل : ١/٥٣ • وانظر شرح الاشموني: ١/٣٤ والشواهد التي ا ردها وقارن • وقد نسب العيني هذه اللغة الى مجموعة هذه الافخاذ والبطون والقبائل • انظر شرح الشواهد ، ١/٧٠ـ٧١ •

لغات : اسم ـ بضم الهمزة وكسرها ـ وسم ـ بضم السين وكسرها ـ وسما : بضم السين وكسرها ـ ايضا » [10] .

وليس هذا الذى يذكره ابن عقيل عن لغات : (اسم) ، اذا التزمنا بما حددنا به مهمة النحوى واللغـــوى والصرفي ، الا من قبيل عمـــل اللغوى المعجمي ، او راوى اللغة ، والنحوى ابعد ما يكون عن ذلك .

وحسبك ما ينقله ابن منظور في « لسان العرب » قال : « وفيه اربع لغات » : اسم ، وأسم ـ بالضم ـ وسم ـ وسم ، وينشد :

والله اسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا

وقال آخـــر :

وعامنـــا اعجبنا مقدمـه يدعى ابا السمح وقرضاب سمه
مبتركا لكـــل عظم يلحمه

واورد ابن منظور شواهد اللغات الاخرى ، والملاحظ ان ابن عقيل استقصى في سرد اللغات ، وتوقف ابن منظور على الاربع ، ولم يشـــر الى (ســما) التي وردت في بيت الشاهد ، ولكنه نقل عن اللحيانـــي ان ـ الضم ـ في قضاعة كثير [11] . ومن ذلك ـ ايضا ـ ما نقله ابن عقيـــل في لغات (لعـل) ، قـــال : « وقد روى في لامها الاخيرة : الكسر والفتح ، وروى ـ ايضا ـ حذف اللام الاولى ، فنقول : عل ـ بفتـــح الـــلام وكسرها [12] . ولغات (لعل) في اللسان مبثوثة في خلال مادة : (علل)[13]، ولم تجتمع في موضع واحد كما اجتمت عند ابن عقيل .

---

(١٠) ابن عقيل : ١/٣٣ .
(١١) لسان العرب : ١٩/١٢٦ (ســـما) .
(١٢) ابن عقيل : ٢/٥ .
(١٣) اللسان : ١٣/٤٩٥ـ٥٠٢ (علل) .

وتشيع مثل هذه الاحكام والنقول اللغوية « من شرحه » في مواطن ضبط ابواب الفعل ، او تصريفه ، او اشتقاق الاسماء ، وهي مواطن اشد أسرا بلغات القبائل ولهجاتها ، كما تشير الى ذلك كتب اللغة • كقوله في (كرب) : « المشهور في كرب ـ فتح الراء ، ونقل كسرها ـ ايضا »[١٤] • وفي (عسى) : اذا اتصل بها ضمير رفع لمتكلم او غائبات : جاز كسر سينها وفتحها ، والفتح اشهر[١٥] •

وفي الفعل المبني للمجهول ، نحو : « قيل وبيع » ، مما يكون عينه علة : فيه ثلاث لغـــات :ـ

أ ـ اخـلاص الضم ، نحو : قول وبوع ، ومنه قول الشاعر :ـ

• • • • • ليت شبابا بوع فأشتريت

وهي لغة الفقعسيين والدبيريين ، وهما من فصحاء بني أسد •

ب ـ الاشمام ، وهو الاتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر •

جـ ـ اخلاص الكسر ، نحو : قيل وبيع[١٦] •

وفي (لدن) حيث تبنيها اكثر العرب ، الا قيسا ، فأنها تعربها[١٧] •

وفي (مع) : فالمشهور ـ في لغة العرب ـ فتح عينها ، وهي معربة ، وربيعة تسكنها ، وتسكينها بناء خلافا لسيبويه[١٨] •

وفي نطق (عشرة) في لغة بني تميم : فالمشهور عند العرب فتح شينها،

---

(١٤) ابن عقيل : ١/٢٨٩ •
(١٥) نفسه : ١/٢٩٤ • انظر اوضح المسالك : ٦٢ •
(١٦) نفسه : ١/٤٢٦ـ٤٢٨ بتصرف وعبارات المؤلف اطول •
(١٧) نفسه : ٢/٥٦ •
(١٨) نفسه : ٢/٥٧ـ٥٨ •

ويجوز في شينها مع المؤنث التسكين ، ويجوز ـ عند تميم ـ كسرها [١٩] .

وفي جمع (جوزة وبيضة) على لغة هذيل ، فأنهما لو جمعتا جمعا سالما فتحنا الواو والياء على لغة هذه القبيلة ، فنقول : جوزات وبيضات ، والمشهور في كلام العرب التسكين اذا كان العين علة [٢٠] ، يقول ابن هشام [٢١] : « يمتنع التغيير في ... جوزات وبيضات لاعتلال العين ، قال الله تعالى : (في روضات الجنات) وهذيل تحرك نحو ذلك ، وعليه قراءة بعضهم (ثلاث عورات لكم) .

وقول الشاعر :

اخو بيضات رائح متأوب » .

وغير هذه النقول اللغوية التي تجد لها متسعا في كتب اللغة والمعاجم، قبل كتب النحويين ، ومثل ذلك ما نقله في النسب الى «مرمي» ، وجواز : مرمي بالحذف ، ومرموى بالقلب [٢٢] والوقف على ما كان مهموز الاخر مثل (ردء) وغير مهموز ، مثل (ضرب) ومذهب الكوفيين في جواز نقل الحركة على الدال في (ردء) وامتناعها عندهم في : (ضرب) لنقلهم ذلك عن العرب [٢٣] ، واماله هذيل الالف في (قفا) عند اضافتها الى ياء المتكلم ، فيقولون : (قفي وهوى) في : (قفاى) و (هواى) ، وعد ذلك من

---

(١٩) نفسه : ٢/٣٢٢ . وزاد ابن هشام (الاوضح : ٢٧٦) : (وبعضم يفتحها) .

(٢٠) نفسه : ٢/٣٥٤ـ٣٥٥ .

(٢١) اوضح المسالك : ٢٩٥ .

(٢٢) ابن عقيل : ٢/٣٨٨ـ٣٨٩ .

(٢٣) نفسه : ٢/٤٠٣ ولم يشر ابن هشام في الاوضح الى أن هذا نقل عن العرب : انظر ص ٣٢٢ـ٣٢٣ . وانظر المسألة : ١٠٦ من الانصاف . ٢/ص : ٣٩٠ فما بعد .

الشذوذ [٢٤] .

والادغام والفك بين تميم والحجاز في : (لم يحلل) و (لم يحل) و (احلل) و (حل) في الامر والمضارع المجزوم ، والفك لغة الحجاز ، والادغام لغة بني تميم [٢٥] .

والاعلال والتصحيح فيما عينه واو او ياء ، فبعض العرب يقـــول : مصوون ، اسم مفعول من : (صان) وهو نادر ، وتميم تصحح ما عينه ياء ، فتقول : « مخيوط ومبيوع » ، على أن اللغة الحجازية ـ وهي الاشهر ـ مبيع ومخيط ومصون . غير ان لغة تميم في ابقاء الياء مصححة لغة مقيسة ايضا ، وهي مستعملة في الكثير من قبائل العرب وما زال لها اثر في لهجات العرب في عصرنا ، ولها شواهد قديما ، نقل اللغويون والنحويون جملة منها ، وذلك نحو ما نقله ابن جني من قول الشاعر :

مذ كان قومـــك يزعمونك سيدا
واخال انك ســـيد معيـــون [٢٦]

وابدال هذيل الحاء عينا في (حتى) ، كما قرأ ابن مســـعود : « عتى حين » [٢٧] .

واجراء (قال يقول) مجرى : (ظن يظن) عند سليم مطلقا وعند عامة العرب بشروط اربعة :

أ ـ ان تكون مضارعة .

ب ـ ان تكون للمخاطب .

---

(٢٤) نفسه : ٢/٤٠٩ ـ و ٢/٧٣ .
(٢٥) نفسه : ٢/٤٦٤ ـ ٤٦٥ .
(٢٦) الخصائص : ١/٢٦٠ـ٢٦١ .
(٢٧) ابن عقيل : ٢/١٠ .

جـ ـ ان تكون مسبوقة بأستفهام .

د ـ ان لاينفصل الاستفهام عنها بفاصل ، ويجوز فصله بالظرف او الجار والمجرور او المعمول [٢٨] .

ومن ذلك ـ ايضا ـ اجراء (الذين) مجرى الجمع السالم عند هذيل ، خلافا لعامة العرب ، فهم يقولون : (الذون) في الرفع ، و (الذين) في النصب والجر [٢٩] ، ومنه قول الشاعر :

نحن الذون صبحوا الصباحا

ونسب الاشموني هذه اللغة الى (عقيل) ـ ايضا [٣٠] .

ومعظم هذه الامثلة التي سردناها تختص ابنية الكلم ومدلـــولات الالفاظ قبل ان تدخل في باب التعبير والتركيب ، وصياغة الكلام ، وهي ـ كما مر ـ موزعة بين ان تكون لغات لعرب لم يصرح بأسمائهم ، او ان تكون لعرب يمتلكون شيئا من ناصية الفصاحة ، او عرب فصحاء لايقلون شأنا عن الحجازيين الذين كانت لغتهم هي اللغة الامام التي اخذت منها جل المقاييس والاحكام والقواعد في النحو والصرف والبلاغة .

وليس من شك ان احكام النحاة كانت قد استنبطت من لغة الحجازيين فلغة تميم ، ثم اللغات الاخرى .

فأما لغة الحجاز ـ ولغة قريش بالذات ـ فقد كان علماء العربية ينظرون اليها ، نظرة اجلال ، لنزول القرآن بها ـ اولا ـ ولانها قمـــة الفصاحة والبيان ـ ثانيا ـ فهي اللغة المختارة المتميزة ، يقول الفراء « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهليـــة ، وقريش

---

(٢٨) ابن عقيل : ٢٨٣/١ .
(٢٩) نفسه : ١٢٥/١ .
(٣٠) الاشموني على الالفية : ٦٨/١ .

يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ » [٣١] .

ويعني الفراء ان لغة قريش قد خلت مما كان ينسب الى القبائل الاخرى من اللهجات المذمومة واللغات الشاذة ، كالكشكشة والعجعجة والتلتلة والفخفخة واللخلخانية والشنشنة والقطعة . والوكم ، والاستنطاء والكسكسة والعنعنة [٣٢] وغيرها من مذموم اللغات ، يقول ثعلب :ـ

« ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء .. » [٣٣] .

هذا النقاء الذى اصابته لغة الحجازيين ميزها عن سائر لغات الجزيرة العربية ، واعطاها ابعادا واضحة من الصفاء والخلوص من الشوائب والفصاحة والبلاغة ، كما ميزها بسمات خاصة ، كان قد ختمها القرآن الكريم بأن نزل بها ، الا انه لم يتخل عن اللغات العليا منها كلغة تميم وهذيل وطيىء وكنانة وهوازن وثقيف والثلاث المتقدمة منها اكتسبت شهرة وذيوعا لاتقل عن لغة قريش ، وبرز من شعرائها عدد كبير ، كأوس بن حجر سلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبدة ، وعدى بن زيد ، وعمرو بن الاهتم ، والبراق بن روحان ، والاسود بن يعفر وغيرهم ، وهم من تميم .

وحاتم ، وابو زبيد ، وزيد الخيل ، واياس بن قبيصة وغيرهم من طيىء ، وابو ذؤيب وابو كبير وابو خراش وعمرو بن الداخل ، وهم

---

(٣١) المزهر : ١/٢٢١ .
(٣٢) انظر تفسير هذه المصطلحات في الامالي : ٢/٧٧ والصاحبي : ٢٥ والمزهر : ١/٢٢٢ـ٢٢٣ والكفاية في علم الرواية للخطيب : ص : ١٨٣ .
(٣٣) الخصائص : ٢/١١ .

كثيرون من هذيل ، وشعرهم كله شواهد للغويين والنحاة والصرفيين والبلاغيين .

ولقوة هذه اللغات ، وشدة اسرها بالفصاحة العربية ، نزل القرآن بها جميعا ، وقواها النبي (ص) بقوله : « نزل القرآن بسبع لغات ، كلها كاف شاف » [٣٤] . وروى في موضع (لغات) : (احرف) ، وفسرها ابو عبيد وثعلب ، والازهرى بأنها : « سبع لغات من لغات العرب ... هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة اهل اليمن ، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله ، واحدة » [٣٥] .

مكتبة قسم اللغة العربية
كلية الآداب

والواقع ان قوة هذه اللغات هي التي حدت بكثير من علماء اللغة الى ان يعدوا امثالها حجة ، يمكن القياس عليها ، والتحدث بها ، فيرى ابن جني ان اللغات ـ جميعا ـ دون ان يحددها بالسبع ، لم تكن ذات خلاف كبير في أصولها ، وان ما كان بينها من تفاوت في بعض الدلالات والاصوات ، انما هو شيء نزر يسير ، فهو يقول : « ان هذا القدر من الخلاف ، لقلته ونزارته ، محتقر غير محتفل به ولا معرج عليه ، وانما هو في شيء من الفروع يسير .. وليس شيء مما يحتفلون فيه على قلته وخفته ، الا له من القياس وجه يؤخذ به » [٣٦] .

هذا هو شأن الفروع فأما الاصول فيقول ابن جني : « واما الاصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه » [٣٧] .

---

(٣٤) انظر :: الخصائص : ٢/١٠ وروايته عند الازهرى : « نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف » التهذيب ٥/١٣ (حرف) .
(٣٥) تهذيب اللغة : ٥/١٣-١٤ (حرف) .
(٣٦) الخصائص : ١/٢٤٤ .
(٣٧) نفسه : ١/٢٤٤ .

وهذا الخلاف على قلته ـ كما يثبت ابن جني ـ انما وقع من انتشار لهجات القبائل المتنافرة في الجزيرة ، يقول ابن فارس في اختلاف اللهجات: « انها كانت لقوم دون قوم فلما انتشرت تعاورها كل » [٣٨] .

ويعلل ابن هشام اسباب الاختلاف في الروايات اللغوية والشعر بأن « العرب كانت تتناشد اشعارها » ، « وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات في بعض الابيات » [٣٩] .

ولهذا كله ، فأن اللغات القبلية ـ جميعا ـ تتساوق ، وتلتقي في انها لغات لقوم ، يمكن القياس عليها ، والتكلم بها ، وفي نحو ما نقرره ـ هنا ـ يقول ابن جني : « الا ترى ان لغة التميميين في ترك اعمال (ما) يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين في اعمالها ـ كذلك ـ ، لان لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ، ويخلد الى مثله ، وليس لك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لانها ليست احق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك ان تتخير احداهما ، فتقدمها على اختها ، وتعتقد ان اقوى القياسين ، أقبل لها وأشد انسابها ، فأن رد احداهما بالاخرى فلا ، الا ترى الى قول النبي (ص) : «نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف» [٤٠] .

ولذا فهو يعتقد ان كل اللغات حجة ، مهما اختلفت ، واذا تكلم انسان على قياس لغة منها اصاب ولم يخطىء .

ويرى ابو حيان الاندلسي النحوي: ان كل لغة منها يقاس عليها [٤١] ، ومذهب ابن جني هذا وابي حيان سبق اليه سيبويه والمازني ، فيقول ابو

---

(٣٨) الصاحبي : ٢٢ .
(٣٩) المزهر : ١/٢٦١ (ط : ٣) .
(٤٠) الخصائص : ٢/١٠ .
(٤١) المزهر : ١/٢٥٨ .

عثمان : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم » (٤٢) .

فأذا تقرر ان جميع اللغات متكافئة متساوقة في القياس عليها والاخذ بها لغة للتخاطب ، بقي ان نرجع الى التمييز بين قوة القياس في كل لغة من هذه اللغات ، فهناك اللغة الاقوى قياسا ، وهناك اللغة الاضعف في القياس ، وابن جني خير من يقف بنا على هذه الظاهرة في نسب قوة القياس من لغة لاخرى ، فهو يقول : « فأما ان تقل احداهما وتكثر الاخرى ـ جدا ـ فأنك تأخذ بأوسعهما رواية ، واقواهما قياسا ، الا تراك لا تقول : مررت بَكَ ، ولا المال لِكَ قياسا على قول ضباعة : المال لِهُ ومررت بِهُ . ولا تقول : اكرمتكش ، ولا اكرمتكس ، قياسا على لغة من قال : مررت بِكِشْ وعجبت منكِسْ » (٤٣) .

والذى يتحصل مما قدمناه في القياس على لغات القبائل ، انها ـ جميعا ـ يمكن القياس عليها ، وبناء الاحكام والقواعد على نصوصها وشواهدها ، غير ان هناك لغة اجود في القياس من اخرى ، وافصح في الاستعمال ، واشيع .

ومن هنا فأن تعويل النحويين على ذكر اللغات في ما صنفوا من كتب النحو واصول العربية ، وفي شروحهم وتعليقاتهم ، واستنباط الاحكام والقواعد والمقاييس والقوانين العامة ، امر لابد منه ، ذلك ان ما يقررونه من قواعد عامة ، انما كان مبنيا على اللغة الاشيع ، والاكثر في الاستعمال ، ولغة الحجازيين وتليها لغة تميم ، كتب لهما الشيوع والذيوع اكثر من غيرهما من لغات الجزيرة ، وقد تبين ـ فيما مضى ـ كيف اكتسبت لغة

---

(٤٢) المنصف : ١/١٨٢ والخصائص : ١/٣٥٧ واللسان : ١٢/١٢٧ وقارن بالصاحبي : ٣٣ .

(٤٣) الخصائص : ٢/١٠ .

قريش الشهرة والذيوع في الجزيرة ، وزادها القرآن تثبيتا ورسوخا واتساعا .

اما ذكر اللغات من دون ان يحصل منها حكم ، او يتبين من خلالها توجيه او خلاف ، او تستنبط قاعدة ، فذلك قليل في عمل النحويين والصرفيين ، ولكنه كثير في عمل المعجميين ورواد اللغة ورواتها ، ولاسيما كتب المترادف والمشترك ، والنوادر والغريب والاضداد ، وما يتصل بهذه الموضوعات اللغوية الصرفة .

وقد كان بعض ما اورده ابن عقيل في نقوله عن العرب لم يتعد الذكر العابر الذى لايريد من ورائه تقرير حكم واستنباط قاعدة ، كما رأينا ذلك في تقرير لغات : (اسم) وكسر : (نون الجمع) وفتح « نون المثنى » [٤٤] ، ودخول نون الوقاية على (من وعن) و (ليت ولعل) [٤٥] ، وغير ذلك .

وفي الأكثر الغالب من الشرح يعتمد المؤلف على ذكر اللغات في تقرير الاحكام ، وتأكيد القواعد ، وبيان اوجه الخلاف بين هذه اللغات ، وقد يجر هذا الاختلاف بين اللهجات الى الخلاف بين النحويين في ترجيح لغة على أخرى ، او الاخذ بواحدة وترك الثانية . يتضح هذا كله فيما نسرد له من النصوص التي وردت خلال الشرح ، تعطينا صورة واضحة لاسلوبه ومنهجه :

١ ـ ذو الطائية : « انها لاتفهم صحبة ، بل هي بمعنى : الذى فلا

---

(٤٤) ابن عقيل : ١/٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .
(٤٥) نفسه : ١/٩٥ .
(٤٦) نفسه : ١/٤١ـ٤٢ ، وانظر : مغني اللبيب : ابن هشام : ٢/٤٠٩ـ ٤١٠ . وانظر الاشموني على الالفية ، والصبان على الاشموني : ١/٦٨ـ٦٩ .

تكون مثل : ذى بمعنى : صاحب ، بل تكون مبنية ، واخرها الواو ، رفعا ونصبا وجرا ، نحو جاءني ذو قام ، ورأيت ذو قام ، ومررت بذو قـــام ومنـــه قولـــه :ـ

فأما كرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذو عندهم ماكفانيا

فقد رواه ابن عقيل ـ هنا ـ : (من ذو) وهي لغة طيء المبنية [٤٧] ، ورواه ابن هشام في المغني : (من ذى) في موضع : (الذى) غير مبنية • وذكر ابن عقيل : ان من العرب من يقول في المفرد المؤنث : ذات ، وفي جمعه : ذوات ، ومنهم مـــن يثنيها ويجمعها ، فيقول : (ذوا) و (ذوو) و (ذواتا) و (ذواتي) في النصب والجر [٤٨] ، وجمع الرضي لغات (ذو) في اربعة وجوه فقال : « ذو الطائية ، اربع لغات اشهرها •• عدم تصريفها ـ اصلا ـ مع بنائها ، والثانية : ذو للمفرد المذكر ومثناه ومجمـــوعه في الاحوال الثلاثة ، وذات مضمومة للمفرد المؤنث ومثناه ومجموعـــه ، والثالثة كالثانية ، الا انه يقال لجمع المؤنث : ذوات مضمومة في الاحـوال كلها • والرابعة : تصريفها : تصريف (ذو) بمعنى صاحب ، مع اعراب جميع تصريفاتها حملا على التي بمعنى صاحب، وكل هذه لغات طائية » [٤٩] •

فأبن عقيل ذكر لغاتها في مواطن متفرقة ، والرضي جمعها في موطن واحد نقلة الصبان في حاشيته •

٢ ـ لغات أب وأخ وحم ، وقد ذكر لها ثلاث لغات هي :ـ

أ ـ الاعراب بالحروف ، وهي اللغة المشهورة •

ب ـ اعرابها بالحركات ، وهي لغة النقص ، وشاهدها :

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

---

(٤٧) المغني : شاهد : ٦٥٨ : ج ٢ / ٤٠٩ـ٤١٠ •

(٤٨) ابن عقيل : ١/ ١٣٠ـ١٣١ •

(٤٩) الصبان على الاشموني : ١/ ١٥٨ـ١٥٩ •

ج ـ لغة القصر ، وشاهدها :

ان أباهـا وأبـا أباهـا قد بلغا في المجـد غايتاها [٥٠]

ولغة القصر اشهر في كلام العرب من لغة النقص [٥١] • وبذلك تكون لغة التمام هي الاشيع والاقيس بين هذه اللغات •

٣ ـ لغة هن ، وهما لغتان :

أ ـ الاتمام ، حكاها سيبويه عن العرب •

ب ـ النقص ، وهي اللغة الاشهر ، وقد اقتصر الفراء على هذه اللغـة ، ونفى ما نقل سيبويه عن العرب ، وهو محجوج [٥٢] •

٤ ـ لغات المثنى ، وقد سبقت الاشارة الى أن اللغة المشـهورة هي الاعراب بالحروف : الالف للرفع ، واليـاء للنصب والجر ، ومن العرب من يجعله والملحق به ، بالالف مطلقا •

واللغة الثانية لغة مشهورة ـ ايضا ـ ولكنها لاترقى في الشـهرة والقياس الى اللغة الاولى ، وقد نسبت الى اكثر من قبيلة •

٥ ـ لغة (سنين وسنون) ، وهما لغتان :

أ ـ اجراؤها مجرى حين ، وفيه لغتان ـ ايضا ـ :

اولا : لغة التنوين ، ، سنينٌ ـ سنينا ـ سنين •

ثانيا : حذف التنوين ، سنينَ ـ سنينُ •

ب ـ اجراؤها مجرى جمع المذكر السالم ، سنون في حالة الرفع ، وسنين في حالتي النصب والجر [٥٣] •

وهذه اللغات التي ذكرها ابن عقيل تنقصها لغتان اخريان ذكرهما السيوطي في جمع الجوامع وهما :ـ

---

(٥٠) ابن عقيل : ١/٤٥ـ٤٦ • وهمع الهوامع : ١/٣٩ •

(٥١) انظر الاشموني والصبان على الالفية : ١/٧٠ـ٧١ •

(٥٢) ابن عقيل : ١/٤٥ •

(٥٣) ابن عقيل : ١/٥٧ـ٥٨ •

أ ـ لزوم الواو وفتح النون .

ب ـ لزوم الواو واعرابه بالحركات على النون [٥٤] .

وقد ذكر السيوطي في همع الهوامع ان جمع (سنة) واعرابها اعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء قيس . اما جعل الاعراب في النون ولزوم الياء فهو لبعض بني تميم وبني عامر .

واللغتان اللتان نقلهما الصبان عن السيوطي ليستا شائعتين ولا قويتين . ولذلك اقتصر ابن عقيل على لغة نجد ، وهي التي ورد بها الشاهد الشعري:

دعاني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

وهي لغة شائعة في تميم ، وقد ورد الحديث بها : « اللهم اجعلها سنينا كسنين يوسف » ، وروى الحديث ، بلغة الحجاز ومعظم العرب ، وهي اللغة الاشهر : « اللهم اجعلها سنين كسني يوسف » .

٦ ـ اتصال الضمير ، وانفصاله في : « خلتنيه » المتعدى الى أثنين، الثاني منهما خبر في الاصل .

أ ـ لغة الفصل ، وهي الاكثر عند العرب ، وقد حكاها سيبويه مشافهة عنهم .

ب ـ لغة الوصل ، وهي واردة في كلامهم بكثرة ـ ايضا ـ قال تعالى : « اذ يريكهم الله في منامك » واما الفصل فكقوله :ـ

أخي حسبتك أياه فقد ملئت
أرجاء صدرك بالاضغان والاحن [٥٥]

واللغتان هنا متوازيتان في القوة ، ولذلك قال الاشموني : « وكلاهما مسموع » [٥٦] .

---

(٥٤) الصبان ق ١/٨٦ . وانظر : همع الهوامع : ١/٤٧ . وشرح التصريح : ١/٩٠ـ٩١ .

(٥٥) ابن عقيل : ١/٩٢ .

(٥٦) الاشموني : ١/١١٩ـ١٢٠ .

٧ ـ أى ، معربة ومبنية : واللغة الاشهر بناؤهـا ، اذا اضيفت ، وحذف صدر صلتها ، فقد قرىء قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيُّهم » وروى البيت :ـ

فسلم على أيُّهم أفضل •

بالبناء على الضم •

وبعض العرب يعربها مطلقا ، وان اضيفت وحذف صدر صلتها ، وقرىء قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة ايَّهم »

وروي :

فسلم على أيَّهم افضل •

بالاعراب ـ جر : (أيَّهم) (٥٧) • في البيت ، ونصبها في الاية ، واللغة الاقوى ـ هنا ـ هي لغة البناء ، ولقد اكد ابن الانبارى في الانصاف عند رده على الكوفيين لغة الاعراب ، بأن اللغة الصحيحة المنقولة التي لا وجه لانكارها هي ضم : (ايُّهم) في الاحوال كلها (٥٨) • ثم قال : « والذى يدل على صحة هذه اللغة ما حكاه ابو عمر والشيباني عن غسان ـ وهو احد من تؤخذ عنه اللغة من العرب ـ انه أنشد :

أذا ما أتيت بني مالك فسلم على أيُّهم أفْضَلُ

برفع : « أيُّهم » فدل على انها لغة منقولة صحيحة لا وجه لانكارها » (٥٩).

٨ ـ في المبتدأ والخبر ، والمبتدأ وصف مطابق للخبر ، نحو : أقائمان الزيدان ، فالمشهور في لغة العرب ان الاول : خبر والثاني مبتدأ مؤخر •

---

(٥٧) ابن عقيل : ١/١٤٢ـ١٤٣ •

(٥٨) الانصاف : ٢/٣٧٨ـ٣٨٣ • المسألة : ١٠٢ •

(٥٩) نفسه : ٢/٣٨٢ • وانظر : المغني : ١/٧٧ •

ولغة (أكلوني البراغيث) ، أن يكون الوصف مبتدأ ، وما بعده فاعل سد مسد الخبر ، كما لو كان الوصف مفردا ، والثاني مخالف له ، نحو : أقائم الزيدان [٦٠] .

وهذه اللغة التي يعبر عنها بأسم : (أكلوني البراغيث) تجرى في الفعل والوصف الجارى مجرى الفعل على حد سواء ويذهب سيبويه في مثل هذه اللغة الى ان للحروف حالتين [٦١] ، حالا لاتكون فيها اسماء ، وذلك اذا تقدمها ظاهر في نحو : (الزيدان قاما) ، فالالف في (قاما) اسم وهو ضمير ، فأذا قلت : (قاما الزيدان) او : (أقائمان الزيدان) فالالف في (قاما) علامة مؤذنة بأن الفعل للاثنين ، وكذلك هي في الوصف : (أقائمان) ، وبذلك فسر قولهم : أكلوني البراغيث ، حيث عدوا الواو علامة مؤذنة بأن الفعل للجماعة .

ومن الطريف ان نذكر هنا رأى المازني في هذه العلامات ، فهي عنده انما تلحق الفعل او الوصف المسند الى اكثر من واحد ليتميز عن الفعل المسند الى الواحد ، « اذ ليس من الضرورة ان يكون الفعل لاكثر من واحد » [٦٢] . فأذا قلت : (زيد قام) ففي الفعل ضمير وليست له علامة مبينة ، فأن ثني او جمع وجب ظهور علامة التثنية والجمع ليخالف الواحد سواء تقدم الفعل ام تأخر [٦٣] .

وعلى هذا الرأى الذى يحمله ابو عثمان المازني تكون لغة : (أكلوني البراغيث) لغة قياسية صحيحة .

---

(٦٠) ابن عقيل : ١/١٧٢ .
(٦١) شرح كتاب سيبويه : السيرافي (خط) : م ١ / و : ١٠٢ .
(٦٢) شرح المفصل لابن يعيش : ٣/٨٧ .
(٦٣) انظر همع الهوامع : ١/٥٧ والمغني : ٢/٢٤٤ و ٣٦٥ و ٣٧٠ ، شرح الكافية : ٢/٩ وشرح المعلقات : الزوزني : ص ٤ في تفسير قول امرىء القيس : (قفا نبك ..) .

٩ ـ ما النافية : حجازية وتميمية :

لغة بني تميم : لاتعمل (ما) عمل (ليس) .

ولغة الحجازيين : تعمل عملها لشبهها بها في انها تنفي الحال عند الاطلاق، نحو : « ما هذا بشرا » و « ماهن امهاتهم » [٦٤] .

وزاد ابن جني في اسباب عملها انها تدخل على المبتدأ والخبر ، قال : « وكأن بني تميم لما رأوها حرفا داخلا بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ، ومباشرة لكل واحد من جزئيها » ، كقولك : « ما زيد أخوك » و « ماقام زيد » اجروها مجرى هل ... ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين ، اقوى قياسا من لغة الحجازيين » [٦٥] .

ولذا فأن اشارة النحويين الى (ما) التميمية ، ضرورة من ضرورات تثبيت الاحكام والمقاييس اللغوية ، خصوصا ان التميمية أقيس ـ عندهم ـ من الحجازية .

١٠ ـ زيادة الباء في خبر (ما) :ـ

تزاد بعد الحجازية والتميمية ، وقد نقل سيبويه والفراء الزيادة بعد التميمية ، ومنع الاخرون [٦٦] .

وزيادة الباء بعد التميمية تتضح في العطف على مجرورها ، اذ يجوز فيه الوجهان ، الاتباع للفظ ، فيجر أو للمحل ـ تقديرا ـ فيرفع ، وهذا الجواز ، وان لم يعن به النحويون كثيرا ، فأن له وجها من الصحة والقوة، ذلك انهم اجازوا دخول الباء على اخبار النواسخ ، مثل كان واخواتها

---

(٦٤) ابن عقيل : ١/ ٢٦٠ وفي المغني ان اعمالها عند الحجازيين والتهاميين والنجديين : ١/ ٣٠٣ .

(٦٥) الخصائص : ١/ ١٦٧ وقد كرر هذا الكلام في اكثر من موضع .

(٦٦) ابن عقيل : ١/ ٢٦٥ .

- غير ان واخواتها وغير كاد واخواتها - [٦٧] المنفية ، ومنه قول الشاعر :

وان مدت الايدى الي الزاد ولم اكن
بأعجلهم ، اذ أجشع القـــوم أعجـــل

وقول الآخر وهو دريد بن الصمة :-

دعاني اخي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يجدني بقعدد [٦٨]

كما دخلت الباء على خبر (لا) في نحو قول سواد بن قارب :

فكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة
بمغن فتيلا عن سواد بـن قارب

فأذا جاز دخولها في هذه المواطن فدخولها هناك اولى ، ومنه قـــول الفرزدق ، وهو تميمي ، وقد رفع بعد العطف على مجرور الباء :-

لعمرك ما معن بتارك حقّـه ولا منسيءٌ معنٌ ولا متيسّـرُ

فرفع (منسئا ومتيسرا) .

١١ - لا : تميمية وحجازية .

مذهب الحجازيين انها تعمل عمل ليس ، وتميم تهملها .

وعملها عند الحجازيين بشروط ثلاثة :-

أ - ان يكون اسمها وخبرها نكرتين .

ب - ان لايتقدم الخبر .

جـ - ان لا ينتقض النفي بألا [٦٩] .

وحصول اى خلل بشرط من هذه الشروط رجع المتكلم الى لغة تميم،

---

(٦٧) الاشموني والصبان عليه : ١/ ٢٥٠-٢٥١ .
(٦٨) الاشموني : ١/ ٢٥١ .
(٦٩) ابن عقيل : ١/ ٢٦٨-٢٧٢ .

فأهمل (لا) • وهذا هو الذى دعا سيبويه الى ان يذهب الى ان تميم اذهب في القياس من الحجاز •

١٢ ـ عسى : حجازية وتميمية : [٧٠] •

في لغة تميم ، اذا تقدم اسم على عسى جاز ان يضمر فيها ضمير يعود على الأسم المتقدم ، نحـــو : « محمد عسى ان يتكلم » ففي عسى ضمير يعود على : محمد ، وعلى هذا يقولون : (الزيدون عسوا ان يتكلموا) •

اما الحجازيون ، فقد جردوا (عسى) من الضمير ، وقالوا في نحـــو الجملة السابقة : « الزيدون عسى ان يتكلموا » • فبنو تميم الحقوا ضميرا بعسى ، والحجازيون جعلوا : (ان يتكلموا) اسم عسى [٧١] ، وقد نطق القرآن باللغتين وذلك دليل على تساويهما في القوة والقياس •

قال (تعالى) : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم » [٧٢] •

وقال (تعالى) : « قال : هل عَسَيْتُمْ انْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القتالُ الا تقاتلوا » [٧٣] ، وقال (تعالى):«فهل عَسَيْتُمْ ان تَوَلَّيْتُمْ انْ تُفْسِدوا في الارض » [٧٤] •

١٣ ـ اسقاط خبر (لا) النافية للجنس :

أ ـ الحجازيون يجوّزون في جواب : هل من رجل قائم ؟ ، ان يقال : لا رجل • فقائم محذوف ـ جوازا ـ عندهم •

---

(٧٠) ابن عقيل : ١/٢٩٣ـ٢٩٤ • وانظر مبحث (عسى) في المغنـــي : ١/١٥١ فما بعد •

(٧١) انظر : مغني اللبيب : ١/١٥٤ • وقد اهمل الاشارة الى كونهما لغتين : وقد اشار الاشموني والصبان اليهما : ١/٢٦٦ـ٢٦٧ •

(٧٢) البقرة : ٢١٦ •

(٧٣) البقرة : ٢٤٦ •

(٧٤) محمد : ٢٢ •

ب ـ التميميون والطائيون : اذا دلّ على الخبر دليل وجب حذفه ففي جواب : هل من رجل قائم ؟ يقال : لا رجل • والخبر محذوف وجوبا [٧٥] •

واشار ابن هشام الى لغة تميم هذه فقال : « انه يكثر حذف خبرها اذا علم ـ يريد غير لغة تميم ـ نحو (قالوا : لا ضير) (فلا فوت) • وتميم لا تذكره حينئذ » [٧٦] • ومجيء خبرها محذوفا في فصيح كلام العرب والقرآن الكريم دليل على قوة مذهب التميميين والطائيين فيها •

١٤ ـ اسناد الفعل الى اسم ظاهر مثنى او مجموع • وفيه مذهبان: مذهب جمهور العرب ، ومذهب بلحارث بن كعب • ولقد مضى في الفقرة (٨) من هذا البحث الخلاف في المبتدأ والخبر ، وان مثل قولنا : (قاما الزيدان) و (قاموا الزيدون) هي اللغة التي يعبر عنها بـ : (اكلوني البراغيث) فأن حذفنا الالف والواو فهي على لغة جمهور العرب [٧٧] •

١٥ ـ الجر بلعل ، على لغة عقيل ، وشاهدهم :

لعل ابي المغوار منك قريب •

وقول الاخر :

لعل الله فضلكم علينا [٧٨] •

وهذه اللغة مخالفة لما عليه عامة العرب من انهم ينصبون الاسم ويرفعون الخبر [٧٩] •

---

(٧٥) ابن عقيل : ١/ ٣٥١ـ٣٥٢ •
(٧٦) المغني : ١/ ٢٣٩
(٧٧) ابن عقيل : ١/ ٤٠٠ـ٤٠١ •
وانظر : تسهيل ابن مالك : ٢٣ وهمع الهوامع : ١/ ٥٧ •
(٧٨) ابن عقيل : ٢/ ٥ •
(٧٩) الاشموني والصبان : ٢/ ٢٠٤ـ٢٠٥ وانظر اللسان : (علل) : ٣/ ٥٠١ •

١٦ ـ الجر بـ (متى) على لغة هذيل ، ومن كلامهم : (اخرجها متى كمة) يريدون : من كمة ، وشاهدهم :

شربن بماء البحر ثم ترفّعت متى لجج خُضْر لهنّ نئيج[٨٠]

واقتصر ابن عقيل على هذا المعنى ـ وحده ـ في لغة هذيل ، وذكر غيره ان لها معنى اخر ، وهو ـ كمما في همع الهوامع ـ انها تأتي اسما بمعنى : وسط ، ومنه قوله : (وضعها متى كمه) يريدون : وسطه [٨١] .

وفسر ابن سيده قول ابي ذؤيب :ـ

متى لجج خضر ...

بمعنى : وسط لجج [٨٢] .

وقال ابن هشام : وهي : (اسم مرادف للوسط ، وحرف بمعنى : من أو في ، وذلك في لغة هذيل ، يقولون : اخرجها متى كمه ، اى : منه) ، وقال ساعدة :

اخيل برقاً متى جاب له زجل .

.... واختلف في قول بعضهم : « وضعته متى كمي » فقال ابن سيده : بمعنى : في ، وقال غيره ، بمعنى وسط » [٨٣] .

١٧ ـ اضافة لولا الى الضمير :

وهو مما تكلمت العرب به كثيرا . وقد منع المبرد ان يقال : لولاه ، لولاى ، لولاك . وهو محجوج بوروده في كلام العرب [٨٤] ، وشاهده قول عمرو بن العاص :

---

(٨٠) ابن عقيل : ٢/٥ . وانظر شرح التصريح : ٢/٢ .
(٨١) انظر : حاشية الشيخ يس جـ ٢ / ص ٢ . والهمع في حروف الجر.
(٨٢) المغني : ١/٣٣٥ .
(٨٣) نفسه : ١/٣٣٤ .
(٨٤) ابن عقيل : ٢/٦ـ٧ .

أتطمع فينا من أراق دماءنا ولولاك لم يعرض لاحسابنا حسن

وقول يزيد بن الحكم :ـ

وكم موطن لولاى طحت كما هوى [٨٥]

ومنع المبرد دخول الضمير على (لولا) ـ أو دخولها عليه ـ انه وجدها قليلة في كلام العرب ، يقول ابن هشام « وسمع قليلا ، لولاى ولولاك ولولاه ، خلافا للمبرد » [٨٦] .

ولم يرد في القرآن هذا الاستعمال ، بل ورد دخولها على الضمير المنفصل ، قال ـ تعالى ـ : « لولا انتُم لكنا مؤمنين » .

١٨ ـ الكاف الزائدة ، فيما حكى الفراء عن بعض العرب : انهم يقولون ، حين يسألهم سائل : كيف تصنعون الاقط ؟ : كهين ، يريدون : هينا [٨٧] . فأدخلت الكاف على (هين) ولا موضع لها هنا ، ولكنها زائدة ، وزيادتها غير مطردة ، وانما ذلك يتوقف على السماع . والمطرّد زيادتها للتوكيد كما في قوله (تعالى) : « ليس كمثله شيء » [٨٨] ، وفسرت بأنها زائدة لتوكيد نفي الفعل ، لان زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة ثانيا ، وهو تفسير ابن جني [٨٩] .

والمثال الذى أورده ابن عقيل في زيادة الكاف ـ في هذا الموضع ـ انفرد به عن غيره ، وهو نقل عن العرب .

١٩ ـ التفريق بين المضاف والمضاف اليه ، وهو سماع عن بعض

---

(٨٥) انظر المغني : ١/٢٧٤ . والانصاف : ٢/٣٦٢ ـ فما بعد ، مسألة : ٩٧ .

(٨٦) المغني : ١/٢٧٤ . وانظر حاشية يس على شرح التصريح : ٢/٢ .

(٨٧) ابن عقيل : ٢/٢٢ .

(٨٨) المغني : ١/١٧٩ .

(٨٩) انظر : المغني : ١/١٧٩ والصبان والاشموني : ٢/٢٢٤ـ٢٢٥ .

العرب ـ ايضا ـ من نحو قولهم : « ترك نفسك يوما وهواها سعي لها في رداها » فقد فصلوا بين : (ترك) وهي مضاف ، و (نفسك) مضاف اليه، ب : (يوما) ، وهو ظرف [٩٠] .

وقد اورد الاشموني قول الشاعر شاهدا على هذه اللغة :ـ

كناحت ـ يوما ـ صخرة بعسيل [٩١] .

والذى اذهب اليه في كل الفواصل بين المضاف والمضاف اليه ، انها من الشواذ التي لايستقيم معها منطق اللغة ، وصواب مقاييسها . وقد نقل الكسائي فصل اليمين ، ونقل ابو عبيدة الفصل به ايضا في مثل قولهم : « ان الشاة لتجتر فتسمع صوت ـ والله ـ ربها » . ونقل بعض النحاة الفصل بـ (ما) او بالمفعول او الظرف . واشار ابن مالك الى ان غير ذلك من الاضطرار ، ولا سيما الفصل بين المتضايفين بأجنبي او بنعت او بنداء . وكل ذلك مما لايحتاج اليه المنطق اللغوى السليم . وان تكلم به بعض العرب .

٢٠ ـ اضافة المقصور الى الياء ، فالعرب ـ الا هذيلا ـ تبقى الف المقصور فتقول : عصاي ، وهواى ، وعداي . اما هذيل فتقلب الالف ياء ، أو تميلها الى الياء ، كما ترى في قول شاعرهم ابي ذؤيب :

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعْنَقُوا لهَواهُمُ
فتُخُرِّمُوا ولكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

ولم يقل : هواى ، كما تقول العرب [٩٢] .

الحق ان الامالة ظاهرة من ظواهر البادية ، اما الحاضرة فقد كانت

---

(٩٠) ابن عقيل : ٢/٦٧ .
(٩١) الاشموني والصبان : ٢/٢٧٦ـ٢٧٧ والانصاف ١/٢٢٥ .
(٩٢) ابن عقيل : ٢/٧٣ .
(٩٣) معاهد التنصيص : ١/١٩٣ (ط : سنة : ١٣١٦ هـ) .

تتخلص منها في الكلام ، ولذلك لم يمل الحجازيون في شيء من كلامهم، بل كان التميميون هم الذين يكثرون من أمالة اصوات اللين ، ولاسيما الالف الى الياء ، او الفتحة الى الكسرة ، وتميم اعرق في البادية من الحجازيين ، وكانت هذيل بعيدة عن الحاضرة مع اختلاطها بالعرب المتحضرين ، كقريش ، وقد كان ابو ذؤيب من شعراء العرب البداة ، وروى عنه انه لما توفي رسول الله (ص) انصرف « الى باديته فأقام بها » وكانت هذيل قبيلته أشعر حيٍّ في العرب بلا مدافع ، كما يقول حسان [٩٣]، ومن هنا حكى ابو ذؤيب لهجة قبيلته هذيل ، فأمال [٩٤] .

٢١ ـ اعمال صيغ المبالغة مثل : (مفعال) و (فعيل) ، وذلك نحو قول بعض العرب : « انه لمنحار بوائكها » [٩٥] وقول البعض الاخر : « ان الله سميع دعاء من دعاه » [٩٦] . وابن عقيل وان لم يصرح بهذا البعض ، فأن اعمال امثال هذه الصيغ مطرد في كلامهم [٩٧] ، واعتمد ابن عقيل في هذا النقل على سيبويه ، لانه هو الذى حكى ذلك عن العرب [٩٨] ، وتمسك بأعمالها معظم البصريين ، ومنع الكوفيون عمل شيء منها لمخالفتها لاوزان المضارع ، ولمعناه ، وحملوا المنصوب بعدها على تقدير فعل ، ومنعوا تقديمه عليها .

قال خالد الازهرى « ويرد عليهم قول العرب » : « اما العسل فأنا شراب » .

---

(٩٤) انظر : شرح التصريح : خالد الازهرى : ٢/٧٦ و ٢/٢٨٤ .
(٩٥) ابن عقيل : ٢/٩١ .
(٩٦) نفسه : ٢/٩٢ـ٩٤ .
(٩٧) انظر : اوضح المسالك : ١٧٥ (ط : الصعيدى) .
(٩٨) شرح التصريح : ٢/٨٥ وانظر : الاشموني والصبان : ٢/٢٩٦ـ ٢٩٧ .

٢٢ ـ تحويل علِمَ وجهِلَ الى باب ـ فَعُل ـ مضموم العين • وذلك في المدح والذم •

فعموم العرب تبقي الفعل على بابه ، خلافا لمن نقله الى باب ـ فَعُل ـ المضموم ، فيقولون : علِمَ الرجلُ زيدٌ ، و جهِلَ الرجلُ بكرٌ » [٩٩] •

وأشار ابن هشام الى المراد في هذا الباب ، اعني تحويله الى فعُل ـ المضموم العين ـ [١٠٠] ، ويقوى ما ذهب اليه ابن هشام ما نقله ـ قبله ـ ابن برّي ، قال « وتقول : علِمَ وفقِهَ أي : تعلمَّ وتفقَّهَ ، وعلُم وفقُه، أى : ساد العلماء والفقهاء » [١٠١] فالصيغة الثانية عربية فصيحة مطردة •

٢٣ ـ افعل التفضيل ، لايعمل عمل فعله الا اذا وقع موقعه فأن جاء : « مررت برجل افضل منه ابوه » [١٠٢] فهو لغة ضعيفة ، نقلها سيبويه عن العرب ، وعدّها بعض النحاة لغة قليلة [١٠٣] واضاف اليها انه يرفع ضميرا بارزا ، كقولنا : « مررت برجل أفضلَ منه انتَ » • وعدَّ (انت) فاعلا ل : (أفضل) وجميع النحويين في هذا يتبعون سيبويه » [١٠٤] •

٢٤ ـ الممنوع من الصرف على فعال نحو : (حذام) ورقاش •

فبنو تميم يمنعون صرفه للعلمية والعدل ، فهو عندهم اسم معرب • والحجازيون يبنونه على الكسر ـ دائما ـ [١٠٥] وشواهد اللغتين كثيرة لاتحصى [١٠٦] •

---

(٩٩) ابن عقيل : ٢/١٣٦ •
(١٠٠) الاوضح : ١٨٩ـ١٩٠ •
(١٠١) لسان العرب : ٥/٣١١ (ط : بولاق) •
(١٠٢) ابن عقيل : ٢/١٥١ •
(١٠٣) شرح التصريح : ٢/١٣٣ـ١٣٤ •
(١٠٤) وانظر كذلك : حاشية ياسين العليمي : ٢/١٣٣ـ١٣٤ •
(١٠٥) ابن عقيل : ٢/٢٦٤ـ٢٦٥ •
(١٠٦) انظر شرح التصريح : ٢/٢٨٤ـ٢٨٥ •

غير أن التميميين يلزمون الكسر فيما اذا كان آخر الاسم (راء) مثل (سفارِ) و (وبارِ) الاول اسم لبئر ، والثاني اسم لقبيلة ، ولهذا كان الاكثر فيما بني على (فعالِ) الكسر ، كما هو مذهب الحجازيين ، قال لجيم بن صعب في امرأته :ـ

اذا قالت حذام فصدقوها
فأن القول ما قالت حذام

ونقل سيبويه : ان من العرب من يصرفه كبقية الاسماء المصروفة •

هذا هو مجمل ما أورده ابن عقيل من الخلاف بين النحويين في لغات القبائل ، واصل هذا الخلاف ، هو تأويل هذه اللهجات التي خرجت عن عامة كلام العرب او عن لهجة الحجازيين وقريش •

والواضح ان بعض هذه اللغات ضعيف ، او غريب ، غير مطرد وقد صرح بضعف مثل هذه اللغات ، او توقف عن الكلام في قوتها وضعفها ، او قصر نقله على ما سمع منها ، وعلى من سمع من اللغويين والثقات ، من ذلك قوله في : « تالله لافعلنّ » : « وقد سمع جرّها لرَبِّ مضافا الى الكعبة ، قالوا : تَرَبِّ الكعبة ، وسمع ـ ايضا ـ تالرحمن •• وقالوا : تحياتك ، وهذا غريب »[١٠٧] •

وكقوله في جر (رُبَّ) للضمير : « وقد شذّ جرّها ضمير الغيبة ، كقوله :

واه رأيت وشيكا صدع اعظمه
وربّه عطباً أنقذت من عطبه

كما شذ جر الكاف له ، كقوله :

خلى الذنابات شمالا كثبا
وأم أوعال كها أو أقربا

---

(١٠٧) ابن عقيل : ٢/١٠ •

وقـــوله :

ولا ترى بعلا ولا حلائلا

كها ولا كهـــن الا حاظلا [١٠٨]

وفي أكثر المواطن التي يجد فيها اللغة ضعيفة او شاذة او غريبة ، لايصرح بنسبة المنقول الى قبيلة معينة ولكنه ـ كثيرا ـ ما يذكر اللغات بقبائلها ، فتكون في مقدمة القبائل بعد الحجاز ـ قريش ـ : تميم ، ومـــا ينسب اليها من اللغة كلام مطرد قياسي فصيح ، وتلي الحجاز وتميما هذيل وطيء وبلحارث بن كعب وسليم وقيس وربيعة وعقيل وبنـــو فقعس والدبيريـــون (×) .

وقد يهمل ابن عقيل التصريح بأسماء القبائل التي تشتهر بلغة قوية في الاستعمال والقياس ، فقد نسب [١٠٩] ـ مثلا ـ اعراب المثنى بالالف مطلقا الى بعض العرب ، فقال : « ومن العرب من يجعل المثنى والملحق به بالالف مطلقا » .

والمعروف انها لغة : كنانة وبني الحارث بن كعب ـ هم الذين تنسب اليهم لغة (اكلوني البراغيث) ـ [١١٠] ، وبني العنبر وبني هُجيم ، وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ، وزبيد وخثعم ، وهمدان وعذرة ، ونزل بها

---

(١٠٨) نفسه : ٢/١٠ـ١٢ .

(×) في احسن التقاسيم : ص ٩٧ . يصف المؤلف لغات جزيرة الموصل، فيقول : « وجميع لغات العرب موجودة في بوادى هذه الجزيرة ، الا ان اصح ما بها لغة هذيل ثم النجديين ثم بقية الحجاز » .

(١٠٩) انظر : ١/٥٣ .

(١١٠) ابن عقيل : ١/٤٠٠ـ٤٠١ .

القرآن في قوله : « ان هذان لساحران » وجاء بها الحديث والشعر [١١١] ، فهي لغة شائعة قوية •

والحق ان هذيلا وكنانة وربيعة وقيسا لغات [١١٢] ذائعة سائـــرة والقياس عليها لايقل قوة عن عامة لغات بني تميم والحجاز ، فربيعة وقيس وأسد وكنانة والدبيريون والفقعسيون قبائل مضرية فصيحة، وطيء [١١٣] وخثعم وزبيد وهجيم قبائل يمانية ، وطيء افصحها لسانا ولشعرائها شعر كثير ، ونصوصه متداولة بين ايدى اللغويين والنحويين في شواهدهم •

ومن هنا فأن القبائل التي عني بها ابن عقيل ، وذكرها في توجيـــه اللغات المختلفة تمتاز بالفصاحة ويندرج معظمها تحت لواءى نجـــد والحجاز ـ موئلي الفصاحة العربية ، والمنطق السليم •

الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدى
بغـداد ـ ١٩٧٥ م

---

(١١١) انظر : ما نقله العيني في شرح الشواهد : ١/ ٧٠ـ٧١ في تعليقه على الشاهد : (ان اباها وابا اباها ...) •

(١١٢) انظر : اللسان : (هـذل) : ١٤/ ٢١٨ و (ربـــع) ٩/ ٤٦٤ و (خثعم) : ١٥/ ٥٦ و ١٧/ ٢٤٣ • و (قيس) : : ٨/ ٤٦ •

(١١٣) انظر : اللسان : ١/ ١٠ (طـــوأ) ١٦/ ٨٤ •

اهم المراجـــع والمصادر :ـ

١ ـ اسرار العربية : ابن الانباري : (٥٧٧ هـ) : ط : ١٣٧٧ هـ .
٢ ـ الاشباه والنظائر ـ السيوطي : (٩١١ هـ) ـ ط : الهند .
٣ ـ الاشتقاق : ابن دريد (٣٢١ هـ) ط : ١٣٧٨ هـ .
٤ ـ الامالي ـ القالي ـ ط : الدار : ١٣٤٤ هـ .
٥ ـ الانصاف : ابن الانباري : (٥٧٧ هـ) : محمد محي الدين .
٦ ـ اوضح المسالك : ابن هشام (٧٦١ هـ) : الصعيدي : سنة ١٣٧٥ هـ .
٧ ـ التصريف : المازني (٢٤٩ هـ) القاهرة (مع المنصف لابن جني) .
٨ ـ تهذيب اللغة ـ الازهري (٣٧١ هـ) ـ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م .
٩ ـ الجمهرة : ابن دريد (٣٢١ هـ) ـ الهند : ١٣٤٥ هـ .
١٠ ـ حاشية الصبان على الاشموني ـ ط : الاستقامة : ١٣٦٦ هـ .
١١ ـ حاشية يسن العليمي على التصريح .
١٢ ـ الخصائص ـ ابن جني ـ ط : الدار : ١٣٧١ هـ ـ ١٣٧٤ هـ .
١٣ ـ شرح الالفية ـ ابن عقيل : ط : سنة : ١٣٧٨ هـ .
١٤ ـ شرح الاشموني ـ الاشموني (٩٠٠ هـ) ـ ك : محمد محي الدين : ١٣٧٥ هـ .
١٥ ـ شرح التصريح ـ خالد الازهري : (٩٠٥ هـ) ـ ط : القاهرة .
١٦ ـ شرح الشافية : الجاربردي ومجموعة : سنة ١٣١٠ هـ .
١٧ ـ شرح الرضي على الشافية : الرضي الاستراباذي : (٦٨٨ هـ) ـ ط : حجازي ، القاهرة .
١٨ ـ شرح الشواهد ـ العيني : (حاشية على الاشموني والصبان) .
١٩ ـ شرح الكافية : الرضي ـ ط : بولاق .
٢٠ ـ شرح المفصل : ابن يعيش (٦٤٣ هـ) ـ ط : المنيرية .
٢١ ـ شرح كتاب سيبويه ـ السيرافي (٣٦٨ هـ) ـ نسخة مخطوطة دار الكتب : ١٣٧/ نحـــو .
٢٢ ـ الصاحبي : ابن فارس : (٣٩٥هـ) ـ ط : المؤيد : ١٣٢٨ هـ .
٢٣ ـ الصحاح : الجوهري : (٣٩٣هـ) ـ تح : عـطار .
٢٤ ـ الكامل : المبرد (٢٨٦هـ) : تح : زكي مبارك ـ القاهرة .

٢٥ ـ الكشاف ـ الزمخشرى : (٥٣٨هـ) ـ بولاق : ١٣١٩ هـ ٠
٢٦ ـ الكتاب ـ سيبويه (١٨٠هـ) ـ ط بـ بولاق ٠
٢٧ ـ لسان العرب ـ ابن منظور : (٧١١هـ) ـ ط : بولاق ٠
٢٨ ـ المزهر ـ السيوطي : تح : جاد المولى ـ مصر ٠
٢٩ ـ معاهد التنصيص ـ العباسي : (٩٤٣هـ) ـ ط : ١٣١٦ هـ ٠
٣٠ ـ مغني اللبيب ـ ابن هشام : تح : محي الدين عبدالحميد ـ مصر ٠
٣١ ـ منحة الجليل ـ محمد محي الدين على الالفية : (١٣٨٢هـ) ٠
٣٢ ـ المنصف ـ شرح التصريف للمازني : ابن جني (٣٩٥هـ) : سنة ١٣٧٣ هـ ٠
٣٣ ـ منهج السالك ـ ابو حيان النحوى (٧٤٥هـ) ـ ط : ١٩٤٧ م ٠
٣٤ ـ همع الهوامع ـ السيوطي ـ ط : السعادة : ١٣٢٧ هـ ٠
وغير هذه الكتب التي ورد ذكرها في الحواشي ٠